الورق البرّاق

علـى قـصيـدة

صاحب البراق

للعالم العلّامة العارف بالله شيخنا أُنِّين كُتِّي مُسلِيَار

(١٢٩٥هـ-١٣٨٠هـ)

جمعه: مُحَمَّد شافي الأحسني نديرب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرّف الأنام بصاحب البراق الأعلى، وكمّل معراجه إلى حضرة قدسه بالرفرف الأعلى، والصلاة والسلام على من بدا بدر الهداية نورا، فببدوّه بدا دين الإسلام هداية وسلاما، وعلى آله وصحبه الذين شهدوا على أنه أُرسل رسولا ونبيّا، أمّا بعد،

فإنّ قصيدة "صاحب البراق" الذي نظمه شيخنا أُنِّين كُتِي أُستَاذ نوّر الله مرقده قصيدة يُشوّق الأنام إلى حبيب الله صلى الله عليه وسلم، ونظمه رحمه الله بمناسبة زيارته مدينة المنورة، ثم كان ينشدها في كلّ ربيع الأول جالسا عند المنبر مع الدفّ. وهذه القصيدة تشيرنا إلى شدّة شوقه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى مهارته في اللغة والأدب والسيرة النبوية، وقد جمع خلال ألفاظه إشارات عدّة، واستعمل من الإستعارات والتشبيهات والبديع المحسّنات ما ينشط به الأذهان ويحفظه الأشراف

وأريد أن أخدم هذه القصيدة، للتبرّك بها ولتحصيل الصلاح والنجاة، وأرجو من القارئين الكرام المطّلعين على أيّ خطء التصحيح والتنبيه،

وأشكر الله على مزيد نعمه، وأشكر جميع مشايخنا الذين هم الأسباب في جميع فلاحنا، وأسأل الله القبول والمدد في البدء والختم، وبالله التوفيق، وعليه التكلان

مُحَّد شافي الأحسني نديرب

نبذة يسيرة من ترجمة الناظم رحمه الله

ولد شيخنا الناظم رحمه الله في قرية وَاوُور (VAVUR) قرب أدَوَنَّ فَّارَا (EDAVANNAPARA) من مقاطعة ملابرم في سنة ١٢٩٥ من هجرة سيّد الكونين، وكان من أسرة مشهورة بالعلم والدِين والمال، وكان أخوه الشيخ بيران كتي مسليار الملَايِلي (MALAYIL) من أجلّ علماء مليبار إذ ذاك، وكان رحمه الله مقرّ الآلاف من الناس، وابتدأ الناظم رحمه الله دراسته الإبتدائية من هذا الأخ، الذي قد بذل حياته للعلم والوعظ والإرشاد والرد على المبتدعين، وكان صوفيا عظيما ومستجاب الدعوة،

ثم تعلّم العلوم من أكابر العلماء المشهورين في ذلك العصر مثل الشيخ عبد الرحمن مسليار كوكوري (KOKUR) وأخيه الشيخ أَوَرُ مسليار كوكوري (AVARU MUSLIYAR) الذي اشتهر بين العلماء بلقب "سيبويه" لمهارته في علم النحو، ومثل الشيخ أحمد كتي مسليار بانغلي (PANGIL) الذي هو من الرؤساء المؤسسين لجمعية العلماء بعموم كيرالا، والشيخ كنج أحمد مسليار إرِمبَالَشيرِي (IRIMBALASHERI)، وشيخنا الكبير المشهور الشيخ مُحَمَّد بن أحمد القطبي قدّس الله أسرارهم.

وقد بذل زمنا طويلا في تعلّم العلم، وصار عالما كبيرا وسار في الله وإلى الله حقّا وحقيقة، حتى أنّه أمَرَه أقاربه بالزواج أحيانا، بل لم يُطعهم؛ لأن لا تكون الحياة الزوجية مانعة له في خدمة الدين، وفي سيره مستقلّا في خدمة العلم، وقيل في تاريخه إنه تزوّج وبعد قليل طلّقها لهذا الأمر.

وقد قدّم لعالَم العلم تلامذة كثيرة، أدّبهم وهذّبهم وأرشدهم إلى طريق السعادة، وربّاهم في جميع دقائق حياتهم، حتى أوصلهم إلى درجة رئاسة المجتمع، ومن أجلّ تلامذته المشهورين رئيس المحقيقن الشيخ أحمد مسليار كَنِّيَتِي (KANNIYATH)، الذي كان رئيس جمعية العلماء بعموم كيرالا، وشيخنا سليمان بن أحمد متّعنا الله بطول حياته، الذي هو الآن رئيس جمعية العلماء بعموم كيرالا.

خادم العلم والدرس

وقد تولّى الدعوة للعلوم الدينية طول حياته، وشمّر لتأسيس المدارس في المحلّات التي ليست فيها المدارس، وخرّج من مدارسه علماء ماهرين كثيرا، ووعظ الناس ونبّههم عن أهمّية الدرس وفوائد إقامته، وكان يسافر في البلدان، ويبحث عن إمكانية الدرس.

وتكون معه مجموعة من التلاميذ دائما، وكان الأستاذ مولعا بهم، واعتني بجميع شؤونهم مثل ما يعتني المرأ بأولاده، وكان يشمّر في تربيتهم وتنميتهم لأن يجعل جميعهم ماهرين، خاصة في الموضوع الأساسي كالنحو والصرف. وكان يربيهم ليلا ونهار، وكان أسلوبه التعليمي نافذا فجأة إلى عقول التلاميذ، ويظهر لنا تميّز تلك الطريقة المنتظمة من عبقرية تلاميذه.

أسلوبه في تأسيس المدارس المسجدي

كان رحمه الله إذا رأى بلدا لم ينتظم فيه الدرس ينظر هل يقدر أهل ذلك البلد على إقامة الدرس، ثم يجلس مع التلاميذ، ويبدأ الدرس، ولا يبالى أيّ مشاكل تكون عند الإبتداء من الردّ من أهل العمارة ومن سكّان المحلّة، وكان لايمنعه من المقصود المشقةُ على نفقة المتعلّمين، ولم يردع الشيخُ بأيّ من القيود أمام تنفيذ مقصوده بتأسيس الدرس

ولم يأثّر عدم التعاون من سكان المحلة في إنشاء الدرس، لأنه كان هو نفسه المنفِق على المتعلّمين في أيّام الإبتداء، كان الشيخ ينفق من عند نفسه في معظم الأيام في الأماكن التي يصعب على سكّان البلد الإنفاق، وكان يرى أنّ المساجد لله سبحانه، وعلى الملؤمنين أن ينوّروها بالعلوم، وأجلس الأستاذ العديد من متولّي المساجد الذين قاموا ضدّ الدرس، وكلّ حركة قاموا بها ضدّ الدرس فشلت أمام ثقة الأستاذ بنفسه وتصميمه.

ويذكر شيخنا رئيس العلماء في تذكار شيخه: نحن مجموعة من المتعلمين يكون مع الأستاذ دائما، وإذا رأى مسجدا في مكان مّا أثناء سفره يدخل فيه وينظر في حاله، ثم يقول لنا رحمه الله أن اجلسوا، نبتدأ الدرس هنا، ولا يشاور مع المتولّيّين، ولا مع أهل البلد، ثم كان يدعو أحد المساكين بقرب المسجد، ويسلّم إليه الفلوس لإحضار طعام اليوم للأستاذ والمتعلمين، وفي صباح اليوم التالي يستدعي سكّان المحلّة إلى المسجد، ويشرح لديهم الحاجة لإقامة الدرس وفوائده، وعندما يخبرونه عن الصعوبات المالية في دفع رواتب المدرِّس ونحوه، يأمر الشيخ رحمه الله لأغنياء المحلّة لأن يقفوا شجرة جوز الهند إلى نفقة الدرس، وبعد إجراء الدرس وتنظيم المال الخاصة به يدرّس فيه شهرين أو ثلثة أشهر، ثم كان يدعو مدرّسا آخر ويسلّم الدرس إليه، ويرتحل الشيخ رحمه الله مع تلاميذه باحثا عن محلّ آخر لإقامة الدرس فيه، وهكذا قد أسّس الشيخ حوالي مائة درس في أنحاء مختلفة من كيرالا.

ذات يوم وصل الأستاذ مع تلاميذه إلى مسجد بمُدَكِّيِل (MUDAKKIYIL) قرب برُوَلُّور (PERUVALLUR) وبدأ الدرس هناك، والناس لم يتعاونوا الدرس، وكان طعام الشيخ من بيت فقير في المحلّة، وخلال هذا الزمان أصيب ثور ثمين لمحمد الشخص الرئيسي هناك، وجلبوا كثيرا من الأطباء لعلاج الثور، ولكن المرض كان يزداد سوءا، أخيرا قال له رجل من أهل البلد عن الشيخ رحمه الله وعن مهارته، وقال: أخبِره عن مرض ثورك، ولكن مُحَمَّدا صاحب الثور كان يخشي الذهاب إلى الشيخ، وقال أحد الحاضرين: أنا آتي إليه، فجاء عند الشيخ بإناء من الماء ليرقي فيه، ولكن الشيخ قال: نذهب إلى بيته لرؤية الثور، فقال الرجل: بيته على بعد كثير من المسجد، ولكن الشيخ جاهزَ للذهاب إلى بيته، ووصل عند الثور وأمرّ يده على بطنه وأمره أن يبول، فحينئذٍ قد بال الثور الذي كان على مشقة عن البول والتغوّط من المرض، ثم وقف الثور على نشاط تام، وبهذه الواقعة تعجّب الجميع وخافوا من الشيخ رحمه الله، ثم تولّى هذا الشخص إطعام الشيخ في كلّ يوم من منزله.

كان مع الناس في حوائجهم

وكان الشيخ رحمه الله هو نفسه يعيّن راتبه في كلّ محلّ يخدم فيه، وكان ذلك راتبا عاليا في ذلك الوقت، ولكن رحمه الله يصرف جميع الرواتب على المتعلمين وعلى فقراء المحلة

وكان ينصر الناس في جميع الصعوبات المذكورة لديه، وعندما كان يدرّس في بوكايور (PUKAYUR) اقترب من الشيخ رجل مسكين من المسلمين، وأخبره بحزنه على أنه غير قادر على أداء دينه من رجل كافر، حتي أنه قد كاد الأمر إلى أن يفوت جميع أمواله بسبب هذا الدين، فاستدعى الشيخ رحمه الله الكافر الدائن، وتولّى جميع الدين، ثم اقترض من الكثيرين لأداء دينه

وفي بوكايور نفسها وقع رجل من كبار الناس على دَين لرجل آخر بسبب خصومة بينهما، أخيرا كان على استعداد لبيع أمواله لقضاء دينه، ولكن ذلك الرجل شكي إلى الشيخ الأستاذ أنه لا يقدم أحد لشراء أرض منه لأنه كان مدينا للبنك (BANK) وبعد أن أدرك الأستاذ حزنه اشترى منه أرضه، وأدّاه الفلوس بأن يقرض الأستاذ من أغنياء تلك المحلة، ثم باع الأستاذ الأرض فأدّى بثمنه ديونه من الأغنياء.

وكان وصول الشيخ رحمه الله في محلة بوكايور في مناسبة خاصة التي قامت فيه خصومة كبيرة بين المتولّي والسكان المحلّيّين، وقام طائفة من الناس ضدّ المتولّي، وطلبوا اتخاذ اللجنة (COMMITTY) لتربية المسجد، حتي وصل الخصومة إلى مقاتلة، وفي النهاية تمّ إغلاق المسجد والمدرسة بدون حلّ المشكل، وفي هذا الوقت المساوئ تواصل الأستاذ ببوكايور وركض فيها كمنظّم لها، واتصل بزعيم الطائفة التي تقوم ضدّ الدرس وسأله: "هل أنت تمنع إقامة الدرس هنا؟" ولقد هابه سؤال الشيخ، فقال فجأة: "يا أستاذ، لستُ مانعا للدرس" فقال له الأستاذ: "رتِّب النفقات على المتعلّمين"، وعندما سمع ذلك مضى في بيوت المحلّة لترتيب النفقة للمتعلّمين، ثم تمّت تسوية تنظيم اللجنة فيها تحت رياسة الشيخ رحمه الله

أسلوب تعليمه

وكان عادة الشيخ رحمه الله إقامة المتعلّمين معه أربعة أو خمسة سنوات ثم إرسالهم إلى مدَارس كبيرة، وحول هذه السنوات كان رحمه الله قد أدّى جميع ما لديه من المثاليات، وكان قد زكّاهم وأدّبهم وجعلهم ماهرين في الفنون الأبتدائية، وكان يأمرهم بجميع الصلاة المسنونة وجميع الصيام المسنونة، ومن تعلّم من الشيخ كتاب الزنجان لا مشقة عليه في فنّ الصرف، كان يعلّمهم الكتاب وقت الصباح ويدرّبهم وجوه الصرف بعد العصر، وكان يقصّ عليهم القصص والتاريخ في هذا الوقت لتربيتهم، ولذا كان المتعلمون لا يشعرون التعب والملالة في سبقهم

ضدّ المبتدعة

وكان الشيخ رحمه الله غاضبا جدّا من جميع الأقسام الطليعية المبتدعين الذين ردّهم جمعية العلماء بعموم كيرالا، وكان يردّ بلغة قاسية جميع المبتدعين الذين رفعوا رؤوسهم في محلّات خدمته، وكان يخطب ويبطل جميع شبهاتهم، ويأتي بأخيه الشيخ بيران كتي مسليار ملايلي لوعظ الناس عن المبتدعة، وكان واعظا مشهورا في كيرالا.

العلاقة بينه وبين الشيخ حافظ القرآن أبوبكر كتي مسليار والشيخ الكرنكفاري

وكان هذه الثلثة المشهورون بالعلم والورع من زملاء الدراسة في درس الشيخ مُحَمَّد مسليار إرمبالشيري (IRIMBALASHERI) من تانور (THANUR) وفي مدّة الدراسة قرأ الشيخ الكرنكفاري بعض الكتب من الشيخ أنين كتي أستاذ الذي كان أكبر منه، وكان سبب ارتحال الشيخ رحمه الله في آخر حياته إلى أومجابوزا (OMACHAPUZHA) هذه العلاقة القلبية والودّية بينه وبين الشيخ الكرنكفاري، وقد كان الشيخ الناظم رحمه الله عيّن الشيخ الكرنكفاري مدرسا في عديد من الأماكن.

أُحبُّ أن أموت متعلِّما

وأثناء تدريسه رحمه الله في بوكايور ذات يوم أمر متعلّميه للذهاب واللحوق إلى درس أحقّ المحققين شيخنا وِيرَان كتي مسليار الكيفتي (KAIPATTA)، وكان شيخنا رئيس العلماء متعلما عنده حينئذ، وحزن المتعلمون شديدا لفراق شيخهم الوقور، ثم غادر رحمه الله إلى أومجابوزا (OMACHAPUZHA) وجاء إلى الشيخ الكرنكفاري الذي هو زميله وتلميذه، وكان حينئذ يدرّس في فُتَن فَلّي (PUTHANPALLI) وقال له: " قد كبرتُ، ولا أستطيع أن أدرِّس الآن، وأحبُّ أن ألحق في درسك وأن أموت متعلّما"، واستقبله الشيخ الكرنكفار مع احترام تامّ، وقام بترتيب طعامه من منزلَين مهمَّين، ولما سمع تلميذه القديم من بوكايور عبد الرحمن مسليار بيرُووَلُّورِي هذا الخبر حضر عند الشيخ لخدمته، وقضي الشيخ رحمه الله حياته في فوتن فلّي مع المتعلّمين حول عام، وخلال عطلة عيد الأضحي ذهب جميع المتعلّمين إلى بلدهم، ولكن الشيخ رحمه الله أقام في المسجد، وعاد عبد الرحمن مسليار إلى منزله للمشاركة في العيد مع أهله ولكنّه لمّا تفكّر في الشيخ أنّه منفرد في المسجد رجع إلى الشيخ بعد فترة وجيزة من العيد، ومرض الشيخ رحمه الله في الرابع عشرة من ذي الحجة، وتوفّي في اليوم السادس عشرة من نفس الشهر سنة ١٣٨٠ هـ وكان سنّه حينئذ خمسا وثمانين (٨٥) وعند مرضه ووفاته كان جميع التجهيز تحت رئاسة الشيخ الكرنكفاري،

ويضيء لدينا عمقُ واتساعُ تلك الصداقة، ثم أُحضر الجنازة من فُتَّن فَلِّي إلى المسجد السفلى في أومجافزا، ويستريح رحمه الله في المكان الذي يقع على الجانب الشرقي من المسجد السفلى، أصلحنا الله به آمين.

قصيدة صاحب البراق

صَاحِبُ البُرَاقِ وَالرَفرَفِ الأَعلَى رَسُولُ الله

صَلَوَاتٌ تَحِيَّاتٌ عَلَيهِ السَلَام

بَدَا بَدرُ الهُدَى نُورًا يُطفِي نَارَ الكُفرِ فَلَمَّا

بَدَا بَدا فِي الدُنَا دِينُ الهُدَى وَالسَلَام

شَهِدَ الجِمَالُ وَضَبٌّ حَيثُمَا استَضَا بَدرُ مَدِينَة

شِفَاهًا أَنتَ رَسُولُ اللهِ وَالسَلَام

ضَمِينُ الظَبيَةِ حَتَى تَرجِعَ لِمَنِ اصطَادَ سَرِيعًا

ضَمَانَ النَبِي وَفَت عَلَيهِ السَلَام

قَد وَرِمَ القَدَمُ بِطُولِ العَمَلِ قِيَامًا دَيدَنَ للهِ

قَد غُفِرَ الذُنُوبُ لِلحَبِيبِ السَلَام

خُرُوجُ دِينِ الإِسلَام قَد قَرُبَا

خُذُوهُ فَغُلُّوهُ أَيُّهَا الوَرَى

أَسكِن إِلَهِي جَنَّةَ الفِردَوسِ * بِحَقِّ طَهَ المصطَفَى القُرَيشِي

صَاحِبُ البُرَاقِ وَالرَفرَفِ الأَعلَى رَسُولُ الله

صَلَوَاتٌ تَحِيَّاتٌ عَلَيهِ السَلَام

ابتدأ شيخنا بالصلاة والسلام على حبيب الله مُحَمَّد ﷺ، ولا نشكّ أبدا في تسميته لله وتحميده في البداية باللفظ أو بالكتابة، لأنّه كان مأدّبا ومتأدّبا تامّا في الأمور كلّها، وأورد كلمات جميلة في الصلاة على الحبيب ﷺ، أوّلا وصف النبي بما يُعلِن عظمته ومكانته،

وله ﷺ أوصاف لا يحصى، ومعجزاته أعظم المعجزات من معجزات سائر الأنبياء، واختار الناظم رحمه الله من بين هذه الأوصاف والمعجزات ما هو أهمّ وأشرف، وهو إسراؤه إلى المسجد الأقصى ومعراجه إلى السماء السابعة للقاء الحضرة القدسية، وهذه المعجزة لا نقدر على اكتشاف مثلها في تاريخ أحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى أكرمه وفضّله وشرّفه وعظّمه وأعلاه فوق سائر الأنبياء والمرسلين كما قال الله سبحانه: ﴿تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض[١]﴾ وعلى هذا المعنى أنشد الإمام البوصيري رحمه الله

فاق النبيين في خلق وفي خلق ... ولم يدانوه في علم ولا كرم
وكلّهم من رسول الله ملتمس ... غرفا من البحر أو رشفا من الديم
وواقفون لديه عند حدّهم ... من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

---

[١] سورة البقرة ٢٥٣

فقوله "**صاحب البراق**" لقب عظيم من ألقاب النبي ﷺ الكثيرة مثل صاحب البراق وصاحب التاج وصاحب الهراوة والنعلين وصاحب الخاتم والعلامة وصاحب البرهان والحجة وصاحب الحوض المورود والمقام المحمود وصاحب الوسيلة وصاحب الفضيلة وصاحب الدرجة الرفيعة وصاحب الشفاعة[2]. والإمام الجزولي رحمه الله صاحب دلائل الخيرات عدّ "صاحب البراق" من أسماء النبي ﷺ حين جمع مائتين وواحد من أسماء النبي ﷺ[3].

وفي هذا اللقب إشارة كبيرة إلى كمالات النبي ﷺ وعُلُوِّ قدره. وهو وصف يليق بجلالته وعظمته، و مدح جليل يُعلِن بمكانته عند ربّه جلّ وعلا؛ لأنّه يشير إلى إسرائه ومعراجه، ولم يسبق لأحد من الأنبياء تعظيم من الله بمثل ما وقع في الإسراء والمعراج، وأما ما أكرم الله به كليم الله موسى عليه السلام بما وقع عند جبل طور سيناء، وإن كان شرفا ولكن لا يعلو ولا يساوي بما أكرمه الله به حبيبه ﷺ

قال الله تعالي ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾(سورة الإسراء-١) وقد أورد الله الآية عن الإسراء وعما بعده على سبيل التعجّب ليشيرنا إلى عظمته.

[2] تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس لحسين بن مُحَّد بن الحسن الديار بكري (ت: ٩٦٦)
وانظر نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري(ت: سنة٧٣٣)

[3] انظر موسوعة التراجم المغربية لأبي العباس أحمد بن مُحَّد بن أحمد بن مُحَّد السلوي ٢٠٦/١٦

و"**البراق**" اسم المركب الذي هيّأ الله لإسرائه وهو دابّة فوق الحمار ودون البغل أبيض اللون[٤] وخطوها عند منتهى طرفيها[٥].

وهو مشتقّ من البريق، فيشير اسمه على وصف من أوصافه، لأن البريق تدلّ على البياض، وقد جاء في لون البراق أنّه أبيض. أو هو مشتقّ من البرق فهو أيضا يدلّ على وصفه بسرعة السير كما أن البرق سريع الوقوع، ويحتمل أن لايكون مشتقا

فائدة: والنبي ﷺ ليس بمحتاج إلى مركب للإسراء؛ لأنّ الله تعالى قد أعطاه من المعجزات مثل طيّ الأرض، فهو ﷺ قادر على الإسراء بنفسه من غير براق بتقدير الله سبحانه وتعالى إيّاه، ولكن ركوب البراق كان زيادة له في تشريفه، لأنه لو صعد أو أسري بنفسه لكان في صورة ماش، والراكب أعزّ من الماشي، فإرسال المركب من عند الله تعالى يزيد في شرف النبي ومكانته عند الله سبحانه وتعالي[٦].

والرفرف الأعلى

والذي يظهر من كلام مشايخنا أنّ المراد بالرفرف الأعلى هنا ما أعدّ الله تعالى للنبي ﷺ من المركب للوصول إلى رؤيته جلّ وعلا كما أعدّ الله البراق لإسرائه إلى المسجد الأقصى

وقد مدح الشيخ عمر القاضي البلنكوتي رحمه الله سير النبي ﷺ في الرفرف الأعلى في قصيدته المشهورة وأنشد:

---

[٤] انظر صحيح البخاري باب المعراج ٥٢/٥

[٥] انظر سنن النسائي ٢٢١/١

[٦] انظر فتح الباري، ٢٤٦،٢٤٧/٧

حتى لبحر النور جبريل وقف   في شطّه رعبا فودّع وهتف

دعني تقدّم يا حبيبي لا تخف   أبشِر تناجي ربّك القيّوما

صلّوا عليه وسلّموا تسليما

جا مقعد الصدق العليّ معظّما   في الرفرف الخضر الشريف مقدّما

للحضرة العلياء فــردا بعد مــا   جــبريل قــام مـقـامـه المعـلومـا

صلّوا عليه وسلّموا تسليما

وأورد **الشاعر أبو الهدى الصيادي** (المتوفي ١٣٢٨) لفظ الرفرف الأعلى في شعره كما أورد الناظم رحمه الله هذا اللفظ في شعره

إلهي بسر الليل والفائض الجاري   من الرفرف الأعلى لحجرة مختارة

بحبل اتصال بين طــه وبينكــم   بأسراره العظمى التي تحت أستار

وفي شعر آخر أنشد هو نفسه مادحا للنبي ﷺ

يـا عـلـم العـز الـــذي   **   في الرفرف الأعلى نصب[٧]

وقد روى الثعلبي في تفسيره عن سير النبي ﷺ في الرفرف الأعلى فيما يخبر عن المعراج:

---

[٧] انظر ديوان أبي الهدي الصيادي ١٦٩

قال رسول الله ﷺ بعدما قال عن الأمور الواقعة في بداية المعراج: "انتهيت إلى سدرة المنتهى وأنا أعرف أنها سدرة المنتهى وأعرف ورقها وثمرها فغشيها من نور الله ما غشيها وغشيتها الملائكة كأنهم جراد من ذهب من خشية الله تعالى فلما غشيها ما غشيها تحوّلت حتى ما يستطيع أحد منعها، قال وفيها ملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل، ومقام جبرئيل في وسطها فلما انتهيت إليها قال لى جبرئل: تقدّم،

فقلت: أقدم من؟ تقدم أنت يا مُحَمَّد فإنك أكرم على الله مني، فتقدمت وجبرئيل على إثري حتى انتهى بي إلى حجاب فراس الذهب فحرك الحجاب، فقال: من ذا؟ قال أنا جبرئيل ومعي مُحَمَّد، قال الملك: الله أكبر، فأخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني وخلف جبرئيل فقلت له: إلى أين؟ قال: يا مُحَمَّد وما منّا إلا له مقام معلوم إن هذا منتهى الخلائق، وإنما أُذن لي في الدنوّ إلى الحجاب لاحترامك ولجلالك،

قال: فانطلق بي الملك أسرع من طرفة عين إلى حجاب اللؤلؤ فحرّك الحجاب، قال الملَك من وراء الحجاب: من هذا؟ قال أنا صاحب فراس الذهب وهذا مُحَمَّد رسول العرب[8] معي، فقال الملك: الله أكبر وأخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني حتى وضعني بين يديه فلم أزل كذلك من حجاب إلى حجاب حتى جاوزوا بي سبعين حجابا غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام وما بين الحجاب إلى الحجاب مسيرة خمس مائة عام،

[8] ليس معني قوله رسول العرب أنه ﷺ أرسل إلى العرب فقط، ولكن معناه رسول من العرب و رسول عربيّ وإلاّ كيف يصحّ وقد قال الله تعالي: وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين.

ثم دلّي لى رفرف أخضر يغلب ضوءه ضوء الشمس فالتمع بصري ووُضِعتُ على ذلك الرفرف ثم احتملني حتى وصلني إلى العرش فلما رأيت العرش اتضح كلّ شيء عند العرش فقربني الله إلى سند العرش وتدلى لي قطرة من العرش فوقف على لساني فما ذاق الذائقون شيئا قط أحلى منها فأنبأني الله عز وجلّ بها نبأ الأولين والآخرين وأطلق الله لساني بعد ما كلَّ من هيبة الرحمن، فقلت التحيات لله والصلوات والطيبات، فقال الله تعالى: سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته .... إلى آخر الحديث[٩]

وأخرج شمس الدين أبو المظفر يوسف قِزأُوغلي[١٠] بن عبد الله المعروف بسبط ابن الجوزي (ت:٦٥٤هـ) هذه العبارة عن الثعلبي في كتابه مرآة الزمان في تواريخ الأعيان[١١]

وأما ما ثبت في صحيح البخاري وغيره "أنّ النبي ﷺ رأى رفرفا أخضر سدّ أفق السماء"[١٢] وإنما وقع هذا الأمر من الأرض، والمعنيُّ بهذا الرفرف الأخضر يبيّنه روايات أخر مثل رواية عبد الله بن مسعود ﵁ **"رأى رسول الله ﷺ جبريل في حلّتي رفرف قد سدّ ما بين**

---

[٩] تفسير الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٦٤/٦ وانظر مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط بن الجوزي (ت:٦٥٤) ١٤٠/٣

وانظر التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم لمحمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي (ت:١٤٠٠) عدد مراكبه ﷺ

[١٠] قزأوغلى بكسر القاف وسكون الزاي، ثم همزة مضمومة وغين ساكنة ولام مكسورة وياء: لفظ تركي ترجمته الحرفية ابن البنت أي السبط – نقلا عن الإعلام للزركلي

[١١] مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ١٤٠/٣

[١٢] صحيح البخاري حديث الرقم: ٤٨٥٨

السماء والأرض[١٣]"، فالرفرف الذي ورد في مثل هذه الأحاديث عبارة عن هيئة جبريل عليه السلام عند رأية النبي ﷺ إيّاه على صورته الحقيقة من الدنيا

ولا بُعد في جعل مراد الناظم رحمه الله بقوله "الرفرف الأعلى" هذا الرفرف الذي قد سدّ الأفق، لأنه ﷺ صحب هذا الرفرف الأخضر أيضا برأيته له، ولكن المناسب بالسباق جعله الرفرف الأعلى الذي جعله الله كمركب لوصوله إلى عرشه جلّ وعلى

وقوله "**صاحب البراق والرفرف الأعلى**" يشير به الناظم رحمه الله إلى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أكمل الكاملين عند الله تعالى؛ لأنّ البراق والرفرف الأعلى يدلّ على إسرائه ومعراجه، وأيّ تعظيم فوقهما يحصل العبد من الله تعالى؟! فلذا أورد الناظم رحمه الله أوّلا هذه الكلمات ليوقع في قلوب السامعين عظمة النبي وشرفه ومكانته، ثم صلّى وسلّم عليه

[١٣] مسند أبي يعلي الموصلى ٤٣٤/٨

وفي عطف الناظم رحمه الله قوله "الرفرف الأعلى" على قوله "صاحب البراق" فائدة:لأنّه روي أنّ البراق كان قد استعملها الأنبياء من قبله ﷺ كما في كتاب الشريعة لأبي بكر مُحَمَّد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ) – وغيره من الكتب روى بسنده إلى النبي ﷺ قال: حدّثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسري به قال: " أُتيت بدابّة هي أشبه الدواب بالبغل , له أذنان مضطربتان **وهو البراق التي كانت الأنبياء تركبه قبلي**، فركبته فانطلق بي تقع يداه عند منتهى بصره، فسمعت نداء عن يميني: يا مُحَمَّد , على رسلك أسألك، فمضيت، فلم أعرج عليه، ثم سمعت نداء عن شمالي: يا مُحَمَّد، على رسلك أسألك، فمضيت ولم أعرج عليه، ثم استقبلتني امرأة عليها من كل زينة الدنيا رافعة يديها تقول: على رسلك أسألك[١٤]، فمضيت فلم أعرّج عليها، ثم أتيت بيت المقدّس أو قال: المسجد الأقصى فنزلْت عن الدّابة **فأوثقته بالحلقة التي كانت الأنبياء توثق بها**[١٥]

---

[١٤] وفي الباقي: فقال لي جبريل عليه السلام: ماذا رأيت في وجهك؟ فقلت: سمعت نداء عن يميني: يا مُحَمَّد على رسلك أسئلك، فمضيت ولم أعرج عليه فقال: ذلك داعي اليهود، أما إنك لو وقفت عليه لتهودت أمتك قلت: ثم سمعت نداء عن يساري: يا مُحَمَّد على رسلك أسألك، فمضيت ولم أعرج عليه فقال: ذاك داعي النصاري أما إنك لو وقفت عليه تنصرت أمتك قلت: ثم استقبلتني امرأة عليها من كل زينة الدنيا رافعة يديها، تقول: على رسلك، أسألك، فمضيت ولم أعرج عليها فقال: تلك الدنيا تزيّنت لك، أما أنك لو وقفت عليها لاخترت الدنيا على الآخرة، قال: ثم أتيت بإنائين: أحدهما فيه لبن، والآخر: فيه خمر، فقيل لي: خذ فاشرب أيهما شئت، فأخذت اللبن فشربته، فقال له جبريل: أصبت الفطرة أو أخذت الفطرة.

[١٥] باب ما خص الله به —كتاب الشريعة للآجري

وقوله: وهو البراق التي كانت الأنبياء تركبه قبلى" وقوله "فأوثقته بالحلقة التي كانت الأنبياء توثق بها" يُفهم بأنّ البراق ليس من خصائص النبي صلي الله عليه وسلم وكان الأنبياء من قبله يركبون عليه، فقول الناظم رحمه الله "صاحب البراق" فقط لا يخصّص النبي صلى الله عليه وسلم عن سائر الأنبياء الذين ركبوا على البراق من قبله؛ لأن اسم صاحب البراق يصدق عليهم أيضا، فلمّا عطف عليه قوله الرفرف الأعلى خص الاسم بالنبي ﷺ

ولكن قد وقع بين الأئمة خلاف في أنّ البراق هل هو من خصائص النبي ﷺ أم لا؟

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله في الفتح: زاد بعض الرواة "وكانت (أي البراق) تسخر للأنبياء قبله" ونحوه في حديث أبي سعيد عند بن إسحاق

وفيه دلالة على أن البراق كان مُعَدًّا لرُكوب الأنبياء

ويؤيّده ظاهر قوله ﷺ: "فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء[١٦]" ووقع في المبتدإ لابن إسحاق من رواية وثيمة في ذكر الإسراء "فاستصعبت البراق وكانت الأنبياء تركبها قبلي وكانت بعيدة العهد بركوبهم لم تكن ركبت في الفترة" وقد جزم السهيلي أن البراق إنما استصعب عليه لبعد عهده بركوب الأنبياء قبله

ويدلّ عليه أيضا قول جبريل للبراق "فما ركبك أكرم على الله منه" أي من النبي صلى الله عليه وسلم

وفي مغازي ابن عائد من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب قال: البراق هي الدابة التي كان يزور إبراهيم عليها إسماعيل، وفي كتاب مكة للفاكهي والأزرقي أن إبراهيم كان يحُجّ على البراق

---

[١٦] هكذا في بعض الروايات

وفي أوائل الروض للسهيلى أن إبراهيم حمل هاجر إلى البراق لما سار إلى مكة بها وبولدها، فهذه آثار يشدّ بعضه بعضا وجائت آثار أخرى تشهد لذلك

وخالف فيه جمع كابن دحية، وقالوا أن البراق من خصائص النبي ﷺ

وأوّلوا قول جبريل عليه السلام للبراق "فما ركبك أكرم على الله منه" أي: ما رَكِبك أحد قطّ، فكيف يركبك أكرم منه!؟ ومال إليه النووي رحمه الله، وقال النووي: "هذا (أي القول بأنّ البراق ركب فيها الأنبياء قبل النبي ﷺ) يحتاج إلى نقل صحيح[١٧].

فقد ثبت من كلام العسقلاني هذا أنّه قد وقع الخلاف بين الأئمّة في أن البراق هل هي مركب النبي خاصة أو هل ركب عليها سائر الأنبياء؟ فعلى القول الثاني فقول الناظم "**صاحب البراق**" لا يخصِّصُ النبي ﷺ، فعطف رحمه الله على "البراق" قولَه "الرفرف الأعلى" فاختص الوصف بالنبي ﷺ لأن الرفرف الأعلى من خصائص النبي ﷺ وليس من الأنبياء أحد صحب البراق والرفرف الأعلى إلا نبيّنا مُحَّد ﷺ.

تركيب البيت وإعرابه:

(صاحب) مبتدأ مرفوع بضمة ظاهرة على الباء والعامل فيه الإبتداء (البراق) مضاف إليه مجرور بكسرة ظاهرة على القاف والعامل فيه "صاحب" المضاف (و) حرف عطف مبني على الفتح (الرفرف) معطوف على البراق مجرور بكسرة ظاهرة على الفاء والعامل الجار فيه العامل الجار للمعطوف عليه اي "صاحب" المضاف (الأعلى) صفة للرفرف مجرور بكسرة مقدرة على الألف والعامل فيه هو العامل الذي عمل الجر في موصوفه أي "صاحب" المضاف (رسول)

[١٧]من فتح الباري مع تغيير ٢٠٧/٧

عطف بيان لقوله صاحب مرفوع بضمة ظاهرة على اللام والعامل فيه هو العامل الذي عمل في المعطوف عليه أي الإبتداء (الله) مضاف إليه مجرور بكسرة ظاهرة على الهاء والعامل فيه "رسول" المضاف (صلوات) مبتدأ ثان مرفوع بضمة ظاهرة على التاء والعامل فيه الإبتداء (تحيات) معطوف على قوله صلوات بحذف الحرف العاطف مرفوع بضمة ظاهرة على التاء والعامل فيه هو العامل الذي عمل في المعطوف عليه أي الإبتداء (عليه) "على" حرف جار مبني على السكون "ه" ضمير مبني على الكسر في محل الجر والجملة من الجار والمجرور ساد مسد الخبر، وفي الحقيقة الجار متعلق بمحذوف تقديره "مستقر" وهو الخبر للمبتدإ الثاني، ولما حذف الخبر سدّ الجار والمجرور مسدّ الخبر، والجملة من المبتدإ الثاني وخبره خبر للمبتدإ الأول في محل رفع (السلام) معطوف على قوله "صلوات" بحذف العاطف مرفوع بضمة ظاهرة على الميم والعامل فيه هو العامل الذي عمل في المعطوف عليه أي الإبتداء

بَدَا بَدرُ الهُدَى نُورًا يُطفِي نَارَ الكُفرِ فَلَمَّا

بَدَا بَدَا فِي الدُنَا دِينُ الهُدَى وَالسَلَام

أرى أنّ هذا السطر يوجد كعَروس من بين سائر سطور هذه القصيدة، كما أنّ سورة الرحمن عروس سور القرآن، كرّر في هذا السطر حرف الدال ثماني مرات، كما جاء آية "فبأي آلاء ربكما" الخ مكرّرا في سورة الرحمن، وهذا السطر دليل على مهارة الناظم في مجال الأدب العربي، وقد قدّم في البيت عبارات جميلات ينشط بها الأسماع، ويعتني بها الأذهان

قوله : **بدى بدر الهدى**

ما أحسن هذه العبارة! أنه شبّه النبي صلى الله بالبدر كما أن الصحابة ﷺ شبّهوه بالبدر حين أنشدوا

طلع البدر علينا من ثنيّات الوداع　　　　وجب الشكر علينا مادعى لله داع[١٨]

أورد أوّلا فعل "بدى" الذي هو يقارب "بدر" في اللفظ، فهذا الفعل والفاعل موافقان في حرفيهما الأوّلين، ثم عبّر عن النبي ﷺ أنه بدى نورا، وهذا من دأب الصحابة كانوا يصفون النبي ﷺ كأنه نور يظهر إذا نظر إليه،

وقد روي عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه عبد الله بن عمر ﷺ أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ بعينيّ هاتين وكان نورا كلّه، بل نورا من نور الله، من رآه بديهة هابه ومن رآه مِرَارًا استحبّه أشدّ استحباب.[١٩]

[١٨] اخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٥/٢٦٦

لمّا ظهر النبي ﷺ الذي هو نور الهدى في الحجاز قد انطفت نار الكفر، وكان الناس قبله متحيّرين في حرّ نار الكفر، ولما أظهر النبيّ نورَ الإسلام استراح الناس من الحرّ، وساروا فرحين في ضوء نوره، وقد وصل شعاء تلك النور إلى شتى البلاد، فانتشر نور نبيّنا في الدنيا كلّها، فبدى دين الإسلام جميع العالم

تركيب البيت:

قوله (بدى) فعل ماض بمعني ظهر (بدر) فاعله (الهدى) مضاف إليه (نورا) حال من قوله بدر الهدي (يطفي) فعل مضارع والضمير فاعله والجملة صفة لقوله "نورا" (نار) مفعول لقوله يطفي (الكفر) مضاف إليه (فلمّا) الفاء ابتدائية و"لما" ظرف زمان يتضمن معنى الشرط (بدى) فعل ماض والضمير فيه فاعله (بدى) فعل ماض جواب لما (في) حرف جر (الدنا) مجرور متعلق بقوله "بدى" (دين) فاعل بدي الثانية (الهدى) مضاف إليه (و)حرف عطف (السلام) معطوف على قوله الهدى

[١٩] الجزء المفقورد من الجزء الأول من مصنف عبد الرزاق ص:٦٢

شَهِدَ الجِمَالُ وَضَبٌّ حَيثُمَا استَضَا بَدرُ مَدِينَة

شِفَاهًا أنتَ رَسُولُ اللهِ وَالسَلَام

والمعنى ظاهر، يقول إن النبي ﷺ لماّ ظهر في المدينة شهدت الحيوانات من الجمال والضباب على أنه نبيّ الله، وتكلّمت مع النبي ﷺ واشتكت إليه، وربما تقول بأفواهها أشهد أنك رسول الله، ومثل هذه الواقعات دالّة على أن النبي صلى الله مبعوث من الله، ورسوله الكريم

وفي هذا البيت إشارة إلى مكانة النبي وشرفه بين الخلائق جميعها، وهو أشرف جميع مخلوقات الله، وأرسله الله رحمة لجميع العالمين، ليس هو رحمة للإنس فقط، ولكنه رحمة للخلق جميعا وقال الله تعالي: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين[٢٠]" ولقد اعترف قدره حتي غير العقلاء من البهائم وغيرها، وقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ قال: "إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلّم عليّ قبل أن أبعث، إنيّ لأعرفه الآن"[٢١]

وفي البيت أيضا تفضيح و طعن لمن لم يؤمن بالنبي ﷺ ولم يسلِّم نبوّته مُذ بعثه الله إلى يوم القيامة، كأنما يقول رحمه الله يا أيها الوري قد شهد غير العقلاء من الحيوان بنبوة النبي

---

[٢٠] سورة الأنبياء ١٠٧

[٢١] صحيح مسلم باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة

مسند أحمد، حديث جابر بن سمرة السوائي

والحديث مذكور في سنن الترمذي، في باب في آيات نبوة النبي ﷺ وما قد خصه الله به، وقال الترمذي حديث حسن غريب

ﷺ ورسالته مثل الجمال والضباب وكانت شهادتها بالنبي ﷺ تنبيها للعقلاء من غفلتهم عن النبي ﷺ وهذه الحيوانات فهِمن فضل النبي ومكانته، ولكن بعضا ممن يدّعي العقل لا يفهم ما يجب عليه أن يفهمه، وأيّ نقصان هذا؟

شهادة الجِمال بالنبيّ ﷺ قد ثبت في الحديث:

حدّثنا حسين حدّثنا خلف بن خليفة عن حفص عن عمّه أنس بن مالك قال:

كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه، وإن الجمل استصعب عليهم فمنعهم ظهره، وإن الأنصار جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إنه كان لنا جمل نسني عليه وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: "قوموا" فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحية فمشى النبي صلى الله عليه وسلم نحوه فقالت الأنصار يا نبي الله إنه قد صار مثل الكلب الكلِب[٢٢] وإنا نخاف عليك صولته، فقال: "ليس عليّ منه بأس" فلمّا نظر الجمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه حتى خرّ ساجدا بين يديه، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته أذلّ ما كانت قط حتى أدخله في العمل، فقال له أصحابه: يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل، تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك، فقال: لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها والذي نفسي

[٢٢] قال الخطابي: وهو داء يصيب الكلب كالجنون. وعلامة ذلك فيه أن تحمر عيناه وأن لا يزال يدخل ذنبه بين رجليه وإذا رأى إنساناً ساوره فإذا عقر هذا الكلب إنساناً عرض له من ذلك أعراض رديئه، (معالم السنن ٤/٢٩٥)

بيده، لو كان مِن قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدّت حقّه[٢٣]

وخضوع هذا الجمل للنبي ﷺ بعدما كان مفترسا على الناس دليل على أنه رسول رب العالمين، وهذا من معجزاته ﷺ ومحادثة النبي ﷺ مع الجمال وشكايتها إليه مرويّة على مختلف الوجوه في كتب الأحاديث والسِيَر، وأتى الناظم رحمه الله لفظ "الجمال" على وزن الجمع لتعدّد الجمال المتكلّمة الشاكية إليه ﷺ

شهادة الضب بالنبي ﷺ

روى الإمام الطبراني: حدثنا مُحَّد بن علي بن الوليد البصري، حدثنا مُحَّد بن عبد الأعلى الصنعاني، حدثنا معتمر بن سليمان، حدثنا كهمس بن الحسن، حدثنا داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن عبد الله بن عمر، عن أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحديث الضب:

أن رسول الله ﷺ كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابيّ من بني سليم قد صاد ضبّا، وجعله في كمّه يذهب به إلى رحله، فرأى جماعة، فقال: على من هذه الجماعة؟ فقالوا: على هذا الذي يزعم أنه نبيّ، فشق الناسَ، ثم أقبل على رسول الله ﷺ، فقال: يا مُحَّد ما اشتملت النساء على ذي لهجة (أي لسان) أكذب منك وأبغض إليّ منك، ولولا أن تسمّيني قومي عَجُولا لعجلت عليك، فقتلتك، فسررت بقتلك الناسَ أجمعين، فقال عمر: يا رسول الله دعني أقتله، فقال رسول الله ﷺ: "أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيّا" ثم أقبل على رسول الله ﷺ

[٢٣] رواه الإمام أحمد في مسنده ورواه ضياء الدين المقدسي في المختارة(٢٦٦/٥)

قال السندي : قوله (يسنون عليه) أي: يستقون عليه (حاشية السندي علي مسند احمد:١٠٥/١٢)

فقال: واللات والعُزّي لآ آمنت بك، وقد قال له رسول الله ﷺ: يا أعرابي ما حملك على أن قلت ما قلت؟ وقلت غير الحق، ولم تُكرم مجلسي

قال: وتُكلِّمُني أيضا استخفافا برسول الله[٢٤] واللات والعزي لآ آمنت بك أو يؤمنَ بك هذا الضب،[٢٥] فأخرج الضبَّ من كمّه، وطرحه بين يدي رسول الله ﷺ، وقال: إن آمن بك هذا الضب آمنت بك، فقال رسول الله ﷺ: "يا ضب....!!"

فتكلّم الضب بلسان عربيّ مبين....!! يفهمه القوم جميعا: لبّيك وسعديك يا رسول ربّ العالمين، فقال له رسول الله ﷺ: "من تعبد؟" قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عذابه، قال: "فمن أنا يا ضبّ؟" قال: أنت رسول رب العالمين، وخاتم النبيين، قد أفلح من صدّقك، وقد خاب من كذّبك

فقال الأعرابي: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله حقا، والله لقد أتيتك وما على وجه الأرض أحد أبغض إليّ منك، ووالله لأنت الساعةَ أحبّ إليّ من نفسي ومن والدي، فقد آمن بك شعري وبشري وداخلي وخارجي وسرّي وعلانيتي

فقال رسول الله ﷺ: "الحمد لله الذي هداك إلى هذا الدين الذي يعلو ولا يُعلى عليه، ولا يقبله الله إلا بصلاة[٢٦]، ولا يقبل الصلاة إلا بقرآن" فعلّمه رسول الله ﷺ الحمد لله، وقل هو الله أحد،[٢٧] فقال: يا رسول الله ما سمعت في البسيط ولا في الوجيز أحسن من هذا،

---

[٢٤] ونفهم من كلامه: أن هذا الأعرابي كان يرى أنّ من كان نبيّا ليس مما ينبغي عليه الاجتماع مع الناس ومكالمتهم، ولذا قال للنبي ﷺ وأنت تستخفّ منصب رسول الله بكلامك إيّاي

[٢٥] أي لا أؤمن بك إلى أن يؤمن بك هذا الضبّ

[٢٦] أي لا يقبل الله إسلامك قبولا تاما إلّا بالصلاة

فقال له رسول الله ﷺ: "إن هذا كلام ربّ العالمين، وليس بشعر، وإذا قرأت قل هو الله أحد مرة فكأنما قرأت ثلث القرآن، وإذا قرأت قل هو الله أحد مرتين فكأنما قرأت ثلثي القرآن، وإذا قرأت قل هو الله أحد ثلاث مرات فكأنما قرأت القرآن كلّه"

فقال الأعرابي: نِعم الإله إلهنا يقبل اليسير ويعطي الجزيل، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعطوا الأعرابي" فأعطَوه حتى أبطرُوه، فقام عبد الرحمن بن عوف: فقال: يا رسول الله إنّي أريد أن أعطيه ناقة أتقرّب بها إلى الله عزوجلّ دون البختي وفوق الأعرابي وهي عُشراء

فقال رسول الله ﷺ: "قد وصفت ما تعطي، فأصف لك ما يعطيك الله جزاءً ! قال: نعم، قال: "لك ناقة من درة جوفاء، قوائمها من زُمرَّد[٢٨] أخضر، وعنقها من زبرجد أصفر عليها هودج، وعلى الهودج السندس، والإستبرق، تمرّ على الصراط كالبرق الخاطف

فخرج الأعرابي من عند رسول الله ﷺ فلقيه ألف أعرابي على ألف دابّة، بألف رمح، وألف سيف، فقال لهم أين تريدون؟ فقالوا: نقاتل هذا الذي يكذب، ويزعم أنه نبيٌّ، فقال الأعرابي: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ مُحَمّدا رسول الله، فقالوا له: صبوت؟ قال: ما صبوت، وحدّثهم الحديث فقالوا بأجمعهم: لا إله إلا الله مُحَمّد رسول الله فبلغ ذلك النبي ﷺ، فتلقّاهم بلا رداء، فنزلوا عن ركابهم، يقبلون ما ولّوا منه، وهم يقولون: لا إله إلا الله مُحَمّد رسول الله،

---

[٢٧] أي سورة الفاتحة وسورة الإخلاص

[٢٨] الزمرد: حجر أخضر أي الزبرجد، وفي رواية: من تختم بالياقوت الأصفر لن يفتقر، والزمرد ينفي الفقر (عمدة القاري شرح صحيح الباخري:٣٧/٢٢)

فقالوا: مرنا بأمر يحبّ رسول الله ﷺ. قال: "تكونون تحت راية خالد بن الوليد، قال: فليس أحد من العرب آمن منهم ألف رجل جميعا، غير بني سليم[٢٩]

تركيب البيت:

(شهد) فعل ماض (الجمال) فاعله (و) حرف عطف (ضبّ) معوطوف على الجمال (حيثما) ظرف زمان (استضا) فعل ماض اصله استضاء حذف الهمزة لضرورة البيت (بدر) فاعل استضاء (مدينة) مضاف إليه (شفاها) جمع شفة منصوب بنزع الخافظ أي بشفاه أو مواجها له ﷺ (أنت رسول الله) مبتدأ وخبر مفعول شهد (والسلام) مبتدأ خبره محذوف أي والسلام عليكم يا رسول الله

---

[٢٩] رواه الطبراني في معجم الصغير ١٥٣/٢ وفي معحم الأوسط: ١٢٦/٦ ورواه البيهقي في دلائل النبوة ٣٦/٦

ضَمِينُ الظَبيَةِ حَتَى تَرجِعَ لِمَنِ اصطَادَ سَرِيعًا

ضَمَانَ النَبِي وَفَت عَلَيهِ السَلَام

والمعنى: أن النبي ﷺ قام ضمينا عند صيّاد لظبية التي قالت للنبي ﷺ هل ترسلني يا رسول الله من هذا الصياد إلى أن أسقي لَبَني لخشفايَ التي هما في البرية، وأرجع إليك بعد ذلك سريعا، فأرسلها النبي ﷺ، وأخذ النبي ضمانته عند الصيّاد، ثم رجعت الظبية إليه كما وعدت، ووفت وعدها

قد أنشد وأجاد الشيخ عمر القاضي البلنكوتي على هذا المعنى في قصيدته المشهورة:

وضَمِنتَ ظَبيَةَ كافِرٍ حتي ارتَضَع　　　أَولادَهَا عَادت كمَا عَهدٌ وَقَع

فَرَآهُ صَائِدُهَا فَعَن كُفرٍ رَجَع　　　فَاختَارَ صَائِدُهَا هُدَاكَ قَوِيمَا

صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسلِيمَا

وحديث ضمان النبي ﷺ للظبية حكمه الإمام البيهقي والطبراني

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: كنّا مع النبي ﷺ في بعض سكك المدينة، فمررنا بخباء أعرابي، فإذا ظبية مشدودة في الخِباء، فقالت: يارسول الله إن هذا الأعرابي اصطادني، ولي خشفان[٣٠] في البرية، وقد انعقد اللبن في أخلافي، فلا هو يذبحني فأستريح، ولا يدعني فأرجع

[٣٠] الخشفان: ولداها

إلى خشفي في البرية. فقال لها رسول الله ﷺ : إن تركتكِ ترجعين؟ قالت: نعم، وإلّا عذّبني الله عذاب العشّار[٣١]. فأطلقها رسول الله ﷺ فلم تلبث أن جاءت تُلَمِّظُ

فشدّها رسول الله ﷺ : أتبعنيها؟ قال: هي لك يا رسول الله، فأطلقها النبي ﷺ قال زيد بن أرقم: فأنا والله رأيتها تسيح في البرية وهي تقول: لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله.[٣٢]

وعن الشيخ أبي زكريا: قال سمعت سيّدهم الشريف يقول: كنت بِحَرَم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا ظبية قد أقبلت من باب الرحمة في وسط القائلة، حتى واجهت قبر النبي ﷺ، وذرفت عيناها بالدموع، ثم تأخّرَت على عجزها حتى خرجت ولم تولِّ ظهرها تعظيما وتوقيرا للنبي ﷺ، حتى خرجت من الحرم ونحن نشاهد ذلك. قال شيخ المسلمين
أبو عبد الله بن النعمان قدس الله روحه: أرى هذه من نسل تلك الظبية التي أطلقها رسول الله ﷺ[٣٣].

---

[٣١] العشار: المكاس الذي يأخذ العشار ظلما، وهو معروف.

[٣٢] قال الإمام الفاكهاني المتوفي سنة(٧٣٤) في كتابه الفجر المنير في الصلاة علي البشير النذير: روي هذا الحديث الطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن أنس بن مالك ﷺ، والبيهقي من طريق على بن قادم، وأبو العلاء خالد بن طهمان، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، والطبراني وأبو نعيم عن أم سلمة، وأبو نعيم عن أنس بن مالك، وهو غريب، ورجاله خرج لهم في الكتب الستة. (الفجر المنير في الصلاة على البشير النذير: ١٠٢)

[٣٣] الفاكهاني: الفجر المنير في الصلاة علي البشير النذير ص:١٠٣

تركيب البيت:

قوله (ضمين) خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو أي النبي ﷺ ضمين لظبية (الظبية) مضاف إليه (حتى) حرف جار متعلق بقوله "ضمين"(ترجع) فعل مضارع منصوب بإضمار أن بعد حتى الجارّة وفاعله ضمير مستتر راجع إلى الظبية (لمن) جار ومجرور متعلق بقوله: ترجع (اصطاد) فعل ماض وفاعله ضمير مستتر راجع إلى :مَن الموصول، والجملة صلة الموصول (سريعا) حال من الظبية (ضمان) مفعول مقدّم لقوله: وفَت (النبي) مضاف إليه (وفت) فعل ماض وفاعله ضمير مستتر راجع إلى الظبية (عليه) جار ومجرور والجملة خبر مقدم (السلام) مبتدأ مأخر والجملة بمعني الدعاء

قَد وَرِمَ القَدَمُ بِطُولِ العَمَلِ قِيَامًا دَيدَنَ لِلّٰه

قَد غُفِرَ الذُنُوبُ لِلحَبِيبِ السَلَام

يقول الناظم: ورسول الله ﷺ مع كونه مغفور الذنوب أي مستورا عن الذنوب كلّها صلّى دائما في جوف الليل بقيام طويل حتى تورّمت وتفطّرت قدماه

قوله (ديدن) معناه دائما، أي قد ورم قدم النبي ﷺ بطول العمل قياما عادة، وقد أورد كثير من المصنفين هذا اللفظ في مصنّفاتهم، منهم القسطلاني في إرشاد الساري حيث شرح قول النبي ﷺ: (ينزل ربّنا، تبارك وتعالى) نزول رحمة، ومزيد لطف، وإجابة دعوة، وقبول معذرة، كما هو **دَيدَنُ** الملوك الكرماء، والسادة الرحماء، إذا نزلوا بقرب قوم محتاجين ملهوفين فقراء مستضعفين، لا نزول حركة وانتقال لاستحالة ذلك على الله،[٣٤] الخ فاستعمالُ مثل هذه الكلمات توضحنا بمهارة شيخنا الناظم في الألفاظ العربية، وبتعلّقه بكتب المصنّفة قديما

ومِحوَرُ ما قال الناظم رحمه الله حديث رواه الشيخان: عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلّى قام حتى تفطّر رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله أتصنع هذا، وقد غفر لك ما تقدّم من ذنبك[٣٥] وما تأخّر فقال: "يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا"[٣٦]

---

[٣٤] إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني: ٢/٣٢٣

[٣٥] (أي ستر الله عنك جميع الذنوب لا يكون منك ذنب من ذنوب الأولين والآخرين، لأن الأنبياء لا يكون منهم الذنوب، فمعني المغفرة في حقهم الستر من الذنوب)

لله درّ شيخنا مادحا لرسول الله، قد شوّق السامعين أوّلا إلى حبيب الله ﷺ بذكر عظمته ومعجزاته ومحاسنه ثم تعقبه هذا البيت الذي يقول فيه عن إجتهاد النبي ﷺ في عبادة ربه، وهذا أيضا مدح جليل للنبي ﷺ بأنه هو أتقى الناس لله وأخشى الناس لله وأعبد الناس لله، ومع ذلك فيه تنبيه للغافلين من أمّته عن العبادات والتقوى

كأنما يقول الناظم رحمه الله: أيّها المشتاق إلى حبيب الله ﷺ كيف تتغافل عن العبادة لله وعن التقوي لله؟! وسيّدُنا رسول الله ﷺ كان يدوم على العبادة قائما حتى تورّمت قدماه، انظر إلى حال المصطفى ﷺ وهو مستور عن جميع الذنوب لا يكون منه المعاصي، وقد أعطاه الله الشرف والعظمة والمكانة على جميع العالم، ومع ذلك قد اشتغل في أوقاته بعبادة مولاه، يا أيها المشتاق كيف تقول أنك عاشق لرسول الله!؟ و تتغافل عن العباداة وتترك اقتداء النبي صلى الله عليه وسلم، لا تكن هكذا، ولكن اجتهد في طاعة مولاك، واتبع سنة حبيبه، واكثر الأعمال، ودع هوى نفسك، حتى عندما تُظهر نفسُك المشقة والتعب عن العبادة وتلذّذ بذلك المشقة، بأن تقول الحمد لله الذي وفّقني لأن أتعب نفسي بطاعته، واذكر وتفكر أن هذا التعب والمشقة منصبة عظيمة قد تحمّل النبي صلي الله عليه وسلم أكثر منه

---

[٣٦] صحيح مسلم: باب إكثار الأعمال و الإجتهاد في العبادة، وقد ورد هذا الحديث في صحيح البخاري أيضا، عن عائشة رضي الله عنها و عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه،

ويا أخي إن كنت تدّعي المحبة فاعلم أن النبي كان دائما على عبادة مولاه، فشمّر في عبادة مولاك[٣٧]

تركيب البيت:

(قد) حرف تأكيد (ورم) فعل ماض بمعني انتفاخ العضو لمرض فيه (القدم) فاعل ورم (بطول) جار ومجروو متعلق بورم (العمل) مضاف إليه (قياما) منصوب بنزع الخافظ (ديدن) ظرف زمان منصوب على الظرفية (لله) جار ومجرور متعلق بالعمل (قد) حرف تأكيد (غفر) فعل ماض لم يسمَّ فاعله (الذنوب) نائب فاعل لغفر (للحبيب) جار ومجرور متعلق بغفر (السلام) مبتدأ خبره محذوف تقديره السلام عليكم يا رسول الله

---

[٣٧] قال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم في شرح حديث أعرابي قال للنبي ﷺ متي الساعة؟ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما أعددت لها؟" قال أُحِبُّ الله ورسوله، قال: "أنت مع من أحببت" قال النووي: ومن فضل محبة الله ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيهما والتأدب بالآداب الشرعية ولا يشترط في الإنتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم إذ لو عمله كان منهم (شرح مسلم للنووي رحمه الله: ١٨٦/١٦)

خُـــرُوجُ دِيــــنِ الإِسـلَام قَـد قَــرُبَا
خُــــــــذُوهُ فَــغُلـّــوهُ أَيُّـــهَا الـــوَرَي

يقول الناظم رحمه الله أخيرا كوصية لنا، قد قرب زمان خروج الناس من دين الإسلام أي من هَدي الإسلام وتعاليمه، بعضهم يقتدون باليهود والنصارى، وبعضهم يتركون التقليد بالأئمة الصالحة ويقتدون بالبدع والضلالة، وبعضهم يتركون التمسُّك بطرق سلف الصالحين ويسعون إلى طرق دخيلة من المتشيّخين، فحياتنا في زمن الفساد والفتنة، وكأنّ هذا هو المراد بقوله "خروج دين الإسلام" أي خروج هَدي دين الإسلام من قلوب الناس

ثم يقول: فالسبيل الوحيد لنا للسلامة من الوقوع في الفتن والفساد الأخذ بالنبي المصطفى ﷺ ومن كيفية الأخذ به محبته ﷺ فوق كلّ شيء وتكثير الصلاة عليه وتعلّم هديه وغير ذلك مما يُقَرِّبُنا إليه، لأن النبي ﷺ هو العُروَة الوثقى فمن أخذه على الكمال لا خوف عليه، ويسلم من جميع الفتن وأن ألأخذ والإستمساك بالنبي ﷺ يوصل العبد إلى مرضات ربّ العالمين، ويقرّبه إلى جنّات النعيم، ويجعل له في قلبه الراحة والطمأنينة في الحركات والسكنات

وقد قال النبي ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين". [٣٨]

---

[٣٨] صحيح البخاري: ١٢/١ باب حب الرسول ﷺ من الإيمان

وفي حديث رواه الإمام البخاري عن عمر بن الخطاب ﷺ قال عمر ﷺ للنبي ﷺ: لأنت يا رسول الله أحب إليّ من كل شيء إلاّ من نفسي، فقال: "لا، والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك" فقال له عمر: فإنه الآن، والله، لأنت أحب إليّ من نفسي، فقال النبي ﷺ: "الآن يا عمر".[٣٩] فمحبته ﷺ فوق كل شيء أمر مُهمّ لكمال الإيمان

وإذا تحقق المحبة في قلب أحد لا يكون منه الميلان إلى غير ما يرضاه النبي صلى الله عليه وسلم، فيمنعه محبته من الوقوع في الفتن والفساد، ولا يخرج الدين من قلبه مادام المحبة باقيا في قلبه، ويتّبِعه في سننه، ولا يستطيع عصيانه. لأنّنا إذا أحببنا شيئا أو شخصا يكون ذلك الشيئ أو الشخص في فكرنا دائما، ويميل إليه قلوبنا في الحركات والسكنات، وكذلك لا يتم محبة النبي فينا إلا بكون النبي ﷺ في خلدنا على هذا الوجه

وإذا اتبع سنته ﷺ يكون ممن يحبه الله تعالى لأن اتباع سنته وسيلة لتحصيل محبة الله سبحانه، وقد **قال الله تعالى**: "قل إن كنتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم[٤٠]"

ومن طريق تحصيل المحبة المعرفة عن النبي ﷺ، ومن أراد أن يحب النبي ﷺ فعليه التعلّم عن النبي ﷺ وإذا علِم أحد عن النبي ﷺ حقّ العلم مع إيمانه به لايخلو قلبه عن محبته ﷺ

[٣٩] صحيح البخاري: ١٢٩/٨ باب كيف كانت يمين النبي ﷺ

[٤٠] سورة آل عمران ٣١

ومن طريق تحصيل محبته أيضا تكثير الصلوات والسلام عليه، مع أن الصلاة والسلام عليه ممّا أمرنا الله به سبحانه وتعالى في محكم تنزيله، وقد علّمنا النبي فضائل الصلاة عليه في كثير من الأحاديث، حتى أنه قال: "إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة"[41]

فأوصنا الناظم رحمه الله في هذا البيت بأن نأخذ ونتمسّك النبي ﷺ وبأن نشدّد محبتنا له بالتعلّم عنه وتكثير الصلاة عليه وغيرهما ممّا يقرّبنا إليه ﷺ

تركيب البيت:

(خروج) مبتدأ أضيف إلى مابعده (دين) مضاف إليه وأضيف إلى ما بعده (الإسلام) مضاف إليه والإضافة للبيان (قد) حرف تأكيد (قربا) فعل ماض والضمير فاعله والجملة خبر المبتدإ، والألف الزائد في آخره للإشباع (خذو) فعل أمر والضمير فيه فاعله (ه) مفعول خذو (ف)حرف عطف (غلّو) فعل أمر والضمير فيه فاعله (ه) مفعول غلّو (أيّها) منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب على النداء "ها" للتنبيه (الورى) صفة ل"أي"

[41] رواه الإمام الترمذي في سننه في باب ما جاء في فضل الصلاة علي النبي ﷺ

واختتم رحمه الله قصيدته المباركة الشريفة بدعاء خالص لله تعالى بأن يسكنه في جنّة الفردوس بحق مُحَمَّد المصطفي ﷺ الهاشمي القرشي وقال:

أَسكِن إِلهِي جَنَّةَ الفِردَوسِ بِحَقِّ طَهَ المُصطَفَي القُرَيشِي

وأيضا ندعو الله سبحانه وتعالى أن يسكننا ومشايخنا ووالدينا وأحبتنا مع شيخنا الناظم في جنة الفردوس في جوار حبيبه المصطفى ﷺ

ربنا تقبّل منّا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنّك أنت التواب الرحيم، آمين برحمتك ياأرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين